# ضيافة/ ترجمة التفكيك في الثقافة العربية

(شروط القبول وأشكال المقاومة)


| تاريخ الارسال:23-07-2018 | تاريخ القبول: 02-08-2018 | تاريخ النشر:15-10-2018 |
|---|---|---|


(ب) مديحة دبابي*
جامعة محمد لمين دباغين سطيف ( الجزائر)
madihadebbabi1984@gmail.com

**الملخص**

رصد هذا المقال بالتحليل والمناقشة استقبال التفكيك واستضافته في الثقافة العربية من أجل الاستثمار في فعاليته والاستفادة من فتوحاته في قراءة التراث العربي، والرغبة في حل مآزق "الثقافة العربية "، من خلال نصوصها الكبرى المؤسِسَة، وفضح تمركزاتها والإشارة إلى المكبوت فيها، وإبراز تناقضاتها الثاويّة في داخلها، وفحص مفاهيمها الدوغمائية، فاعتنى النقاد العرب كل وأيديولوجيته بترجمة التفكيك ونقله إلى اللغة العربية، مجتهدين في جعله منخرطا في مشاكل الثقافة العربية لكشف مآزقها وفك عوائقها . وهنا نكون إزاء أخلاق الضيافة التي تتحملها الترجمة بوصفها فعلا مختصا باستقبال " الآخر" .

**الكلمات المفتاحية** : التفكيك، الضيافة، الآخر، دريدا، الثقافة العربية، الترجمة .

**abstract**

This article analyzed and discussed the reception and hosting of deconstruction in the Arabic culture in order to invest its effectiveness and benefit from its conquests in reading the Arabic heritage, besides the desire to solve the troubles of the Arabic culture through its major founding contexts and pointing out at its hidden side, showing its contradictions and checking its dogmatic concepts. Therefore, the Arab critics took care of translating the deconstruction and transmitting it to Arabic. They did their best to make it a part of the problems of the Arabic culture to reveal its troubles and solve its obstacles. Here we find ourselves in front of the ethics of hospitality that translation bears as its being an action of "receiving the other" .

**key words**: Deconstruction, Hospitality, Derrida, Arabic culture, the other Translation.

* مديحة دبابي طالبة دكتوراه علوم تخصص "نظرية الأدب "، آخر الأعمال : مقال "الكتابة وتفكيك البنية الأنطو-تيو -لوجية لنسق الفكر الغربي" ضمن كتاب : جاك دريدا فيلسوف الهوامش تأملات في التفكيك والكتابة والسياسة إشراف محمد بكاي / ط1 ، منشورات الاختلاف/ ضفاف 2017 .

- مقال "إرادة النص للمتعة" ضمن كتاب : أهواء بارت ومغامرات البارتية إشراف محمد بكاي ، ط1 منشورات الاختلاف وضفاف 2017
- مقال: "لذة القراءة وتفكيك الأيديولوجيا عند رولان بارت" مجلة مقاليد العدد8 سنة 2015
- مقال : "الرائع النصي في رواية جرحى السماء" ضمن كتاب مؤانسات في الجماليات نظريات، تجارب، رهانات إعداد مجموعة مؤلفين إشراف أم الزين بن شيخة المسكيني ط1، منشورات الاختلاف منشورات ضفاف 2016

**تقديم :**

إن حركة انتقال المصطلح من بنية ثقافية إلى بنية أخرى يحتاج شروطا وتهيئة، ولاشك أن السياق الذي يرتحل ضمنه المفهوم يعمل على تشكيله وإعادة صياغته، فحين يشق المفهوم وجوده في بنية ثقافية مخصوصة ومشروطة بهمومها الفكرية وقضاياها المعرفية والإيديولوجية، وفي سياق تنقلاته ، يفقد دلالاته الأصلية ومعانيه الأولى، فالمفاهيم تحيا بقدر ما تموت وتتجدد بقدر ما تتقطع، وتنتج بقدر ما تختلف وتتباين[1] ينضاف إلى ذلك تداوله، فعملية تطبيق واستعمال المصطلح والمفهوم تسهم بلا شك في إكسابه دلالات جديدة لم تكن له - بصرف النظر هل تتفق أم تختلف مع النسخة الأم أم لا - فالاستعمال يعيد "ابتكار" المفهوم، ويضيف له دلالات مغايرة تتناسب والثقافة الأخرى التي تريد احتضانه واستعماله ضمن مشكلاتها المطروحة، ومأزقها وتاريخها وراهنها وآمالها المعقودة. وهو ما نلاحظه مثلا في استقبال التفكيك في الثقافة الأمريكية ؛ فقد وجد التفكيك في الثقافة الأمريكية أرضا خصبة لنموه وتوظيفه واستثماره خاصة مع جماعة يال النقدية .

فكيف هو حال ثقافات أخرى كالثقافة العربية مع هذا "المصطلح" ترجمة وتوظيفا وتداولا؟ هل حضور دريدا كان نصا أم بوصفه أنموذجا للمثقف المناضل من أجل الاختلاف والضيافة والصداقة هذا من جهة، من جهة ثانية باعتباره مقاوما الشمولية والاحتواء الغربي للآخر المختلف؟ أيّ حاجة تاريخية ومعرفية وإيديولوجية اقتضت ترجمة و توظيف وتداول التفكيك (نصا وفكرا)عربيا؟ أم هي الرغبة الجامحة والرجاء الذي علّقه المفكرون العرب بالتفكيك في إحداث تغيير بالمشهد الثقافي والجمالي والسياسي والاجتماعي العربي؟ فيمَ نبحث داخل ترجمة دريدا للعربية: هل منهجيته أم الانفتاح على الآخر؟ باعتباره فرصة ومناسبة لقراءة التراث العربي والإسلامي* وإنعام النظر فيه وتفكيكه والكشف عن تناقضاته ؟

---

[1] ينظر عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر والدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2009.ص 30

* لاحظ مثلا حضور لفظة التفكيك عربيا بغض النظر عن الاستعمال المنهجي والوعي المعرفي به مثل :

- كتاب سلامة كيلة : ما الماركسية ؟ تفكيك العقل الأحادي.
- عامر جميل الراشدي : النص الصوفي .. دراسة تفكيكية في نصوص أبو يزيد البسطامي نموذجا
- رشاد عبد الله الشامي: تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلى
- محمد العبد الكريم: تفكيك الاستبداد
- محمد الخباز : صورة المرآة في التراث الشيعي تفكيك لآليات العقل النصي .... وغيرها.

## 1.الترجمة بوصفها ضيافة:

تُعدُ الترجمة نشاطا ثقافيا مهما لكل حضارة تريد النهوض بثقافتها، لأن أساس الترجمة هو المراجعة والتأويل[1]، فالترجمة عامل جوهري للمثاقفة، إذ تعوّل على جعل المصطلحات منخرطة في مشاكل الثقافة المترجَم إليها ومتجاوزة لها في آن، لكن الترجمة عمل شاق ومضن يكابده المترجم عاشق اللغة لأنها «هم فكري ومعاناة من "يفلح" النصوص ويعشق اللغة ويرعى صقلها وصفاءها»[2] إن الترجمة تتعهّد بالصقل اللّغة؛ الّتي تعتبر نسقا اجتماعيا وتاريخيا وثقافيا لأمة من الأمم ، فهم المترجم أولا هو الحفر في اللغة ، وتقليب تربتها لإكسابها هواء جديدا، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى لا ينبغي أن نغفل أن ترجمة نص من النصوص تعني ترجمة أفكاره «إن المترجم من خلال التصرف (Managing) الأيديولوجي في قراءة النص، وترجمته يقوم بدور المؤول(interpreter) والمنجز (performer) للفعل الترجمي في آن واحد، لأنه أصبح طرفا في صناعة معرفة ما تخدمه، وتخدم جهة من الجهات المستفيدة.» [3] إن الغرض من الترجمة ليس فقط نقل نص إلى العربية إنما نقل أفكاره، لهذا تعتبر الترجمة همّا ومعاناة معرفية تؤرق المترجم، فقد يكون الظاهر من الترجمة هو المثاقفة والتقارب بين الثقافات وإنعاش الثقافة، إلا أنها قد تكون على نحو خفي ميدانا أيديولوجيا لإذكاء الصراع الحضاري من جهة، والصراع الإيديولوجي بين أبناء الثقافة المنقول إليها هي نفسها من جهة أخرى، لهذا يقول دريدا: «لا شيء أكثر خطورة من الترجمة» [4]

تبرز أغلب المعيقات في الترجمة إذا كان هم المترجم محصورا ضمن ثنائية (لغة أصل ولغة منقول إليها ) هذه الثنائية التي تخفي غاية كبرى هي السعي وراء "وهم" التطابق التام بين نصين، حتى يتم حضور المعنى مثاليا تاما نقيا، دون المساس بحرفية النص الأصلي، لكن «الحقيقة ليست هي التطابق التمثيلي بين الأصل والترجمة... » [5] إن الترجمة ترتبط بالحداد[6] ؛ فالنص الأصلي يموت ويتجدد عبر النص المترجم، يقول محمد محجوب : علينا إزاء عمل الحداد أن نسلم أن النص الأصلي فات ولا يعود ، والنص المترجم هو نص في " وزن النص الأصل"، لكن بشرط

---

(1) - يمكن بهذا الصدد متابعة محاضرة لمحمد محجوب : " براديغم الترجمة أم براديغم التأويل ؟ " يوم الأربعاء 04 ماي 2016، تنظيم "مؤسسة مؤمنون بلا حدود" https://www.youtube.com/watch?v=WPPy7wtIRKs

(2) عبد السلام بنعبد العالي:"الترجمة والفلسفة في العالم العربي" مجلة نزوى ع 61 عمان 1يناير 2010 ، ص 264

(3) عبد النور خراقي : "الترجمة بين البحث عن الذات والخوف من الآخر"، ضمن كتاب الترجمة وإشكالات المثاقفة (2) ، تحرير وتقديم وليد حمارنة، ط1 دار الكتب القطرية، 2016، 2016، ص563

(4) جاك دريدا : استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا حول الجامعة و السلطة و العنف و العقل و الجنون و الاختلاف و الترجمة و اللغة. ترجمة عز الدين الخطابي. المجلد د ط. المغرب: أفريقيا الشرق، 2013. ص266

(5) جاك دريدا: المرجع نفسه ، ص278

(6) ينظر محمد أحمد البنكي: دريدا عربيا، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان 2005 ص189

خلق سياق يوازي ويكافئ السياق الأول حتى تكون الترجمة ممكنة، فالنص الأول لم يبق منه لا سياقه ولا عباراته، وتحصلنا على ترجمة .[1]

وبناء عليه لا توجد ترجمة حرفية، بل ترجمة محفوفة بالمخاطر تتحمل عبء التأويل والتحويل والوزن، وذلك بالإنصات لألغاز النص المنقول، فالمعنى لا يتمتع بهذا الحضور المثالي فهو مع التفكيك مرجأ دوما.

من جهته اعتبر "حسام نايل" الترجمة ضيافة Hospitalité وأنسا بالآخر «الترجمة عكوف على الآخر، نداء واستجلاب حتى يأتينا البعيد النائي حتى يسكننا الغريب، فنرى أنفسنا على الحقيقة وحق رؤية النفس أن يكون الضيف مضيفا ينادينا وننناديه، منطق جديد في الضيافة شرطه تبادل الأدوار، حتى لا تعود النفس نفسا، ولا يعود الآخر آخرا، فنرى الأنس أنس التبادل وتبادل الأنس.» [2] فالترجمة ضيافة، ضيافة غير مشروطة وسبق لدريدا الحديث عن الضيافة الكونية مفككا الضيافة عند كانط بوصفها ضيافة مشروطة بقانون دولة الاستقبال، فيما يدعو هو إلى ضيافة غير مشروطة «إن الضيافة المحض وغير المشروطة الضيافة ذاتها تنفتح أو هي مفتوحة مقدما على أي شخص لا يكون مدعوا أو متوقعا، أي شخص يأتي زائرا غريبا تماما، بوصوله غير المحدود وغير المنتظر وباختصار إنها مفتوحة على الآخر كليا.»[3] هي إذن استقبال الغريب، واستضافته ضيافة غير مشروطة بإملاءاتنا الفوقية، ولا نسيّجها بمخاوفنا وهواجسنا. **إذاً كيف نقرأ استقبال التفكيك عربيا في ضوء هذه الضيافة ؟**

يتمتع الضيف في الثقافة العربية القديمة بحقوق وواجبات، الأمر الذي يجعل من الضيافة نظاما اجتماعيا وثقافيا وأخلاقيا ، وقد جاء في مدونة العرب قول الشاعر :

**يا ضيفَنا لو زرْتَنا لوجدتَنا **** نحنُ الضيوفَ وأنتَ ربُّ المنزلِ**

تقلب الضيافة الأدوار، وتخلخل المواقع المطمئنة الهادئة، بل إن الضيف يتموقع بحكم الضيافة في المركز، ويزيح كل المواقع القديمة الرتيبة الساكنة، فيصبح صاحب البيت ضيفا في بيته، ويتحول البيت إلى فضاء بيني للتساكن مع الغريب « إن المأوى من حيث هو شقة ينتمي إلى عالم الأشياء، ولكنه من حيث هو بيت الإنسان يجعل العالم الحميمي الذاتي ممكنا، إنه ليس مكان الوحدة والعزلة بل مجال لممارسة حق الضيافة والانتظار والاستقبال لجميع زائريه دون تحفظات»[4]

---

(1) محاضرة ل محمد محجوب : " براديغم الترجمة أم براديغم التأويل ؟ " يوم الأربعاء 04 ماي 2016 ، تنظيم "مؤسسة مؤمنون بلا حدود"
https://www.youtube.com/watch?v=WPPy7wtIRKs الدقيقة 32

(2) حسام نايل : في مقدمة ترجمته مقالات ميشيل رايان، كريستوفر نوريس، ريتشارد رورتي، و جوناثان كلر. ضمن كتاب مدخل إلى التفكيك، ط1. مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2008.،ص 15

(3) جيوفانا بورادوري. الفلسفة في زمن الإرهاب حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا. ترجمة خلدون النبواني. ط1. بيروت: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، 2013.ص 54 -55

(4) زهير الخويلدي :" الأنا وجها لوجه مع الآخر أو ليفناس فيلسوف الغيرية" ، الحوار اليوم 2013/14/03

فالبيت يكتسب معنا وجوديا تنتفي معه الوحدة، والتقوقع على الذات إلى الانفتاح على الآخر، وضيافته واستقباله "دون شرط" وهو ما يجعل الضيف يشتبه والمضيف أحدهما بالآخر . كما يقول الشاعر :

**باتَ مُضِيفًا وبِتُّ ضَيْفًا **** فاشْتَبَهَ الضَّيْفُ والمُضِيفُ**

فالضيافة تسحق تلك الثنائية "ضيف - مضيف" وتكرس الاشتباه والألفة بالضيف الغريب، وتقوم اللغة بدور مهم فهي تزرع الاطمئنان والأنس: **أحدثه إن الحديث من القِرى ****وتعلم نفسي أنه سوف يهجع**، فاللغة تلعب دورا مهما في الأنس بالغريب « إننا نستطيع أن نترجم بطريقة أخرى من دون أمل في ردم الفارق بين التساوي والتّطابق التام : إنها الضّيافة اللّغوية إذا، حيث لذة الاستيطان في لغة الآخر تجد تعويضها في لذة الانتقال في بيته (لغته) وفي منزل استقباله الخاص وفي استقباله لكلام الغريب» [1]

كما أن الجسد يقوم بدور أساسي في استقبال الضيف، إذ يستقبل العربي ضيفه بوجه طلق أيام السعة والرخاء حيث يقو شاعر:

**وإني لطلق الوجه للمبتغي القِرى * * * وإن فنائي للقرى لرحيب**
**وما الخصب للأضياف أن يُكثر القِرى * * * ولكنما وجه الكريم خصيب**

حتى في أيام الشدة و الجفاف يتحمل الكائن بفرح ضيافة الآخر الغريب يقول شاعر :

**أضاحك ضيفي عند إنزال رحله * * * فيخصب عندي والمحل جديب**

ومن جمالية اللغة العربية أن صيغة "جديب" على وزن "فعيل" تدل على الثبوت[2] أما ما يخصب فهو "فعل" وهو يدل على التجدد والحركة، وأضاحك فعل مزيد يدل على المشاركة والتكلّف والرغبة (لا الحاجة) في حصول الفعل[3] وهذه هي الخصوبة التي ترتجيها الضيافة؛ فالضيافة تقتضي الإسراع في إكرام الضيف بالملاطفة والايناس والإضحاك والحديث، والتي يتحمّلها الوجه دون سائر الأعضاء؛ لأنه فرصة للتجلي للأخر بدل الانطواء، حيث يعتبر "إيمانويل ليفناس" الوجه بمثابة "الجسر الإتيقي بين الأنا والغير، وعبره نتخطى منطق التخاصم والتنافي، وتتفكك قلاع الهوية المتكتمة، فالوجه عند الفيلسوف "ليفناس" هو مرآة عاكسة لشخصية الأنا وكينونته. [4] إننا ههنا إزاء إيتيقا الضيافة والأنس بالآخر .

---

http://alhiwartoday.net/node/6296

[1] بول ريكور : "تحدي الترجمة وسعادتها" ترجمة محمد المزيودي، مجلة أوان ، العدد 9، البحرين ، 2005 ، ص 126

[2] فائق جليل خليل : صيغة (فعيل) دراسة صرفية دلالية العدد الثاني والعشرون،مجلة الفتح، ص 127، 2005
https://iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=32765

[3] ينظر : سيد مصطفى أبو طالب : صيغة فاعل ، موقع ألوكه بتاريخ 2017/2/21
/http://www.alukah.net/literature_language/0/112708

[4] زهير الخويلدي : "الأنا وجها لوجه مع الآخر أو ليفناس فيلسوف الغيرية" ، الحوار اليوم 2013/14/03
http://alhiwartoday.net/node/6296

فالغريب- الضيف يخلق مسافة بيننا وبين بيتنا/ لغتنا/ ثقافتنا/مفاهيمنا المسبقة « ينبغي العمل في أثر دريدا بالذات على تعميق بلاغة الضيافة هذه والتفكير بها من ناحية الترجمة كتوتر معيش في قلب اللغة وفي صميم الثقافة.» [1] فضيافة التفكيك تحرك هدوء كل ما يرقد عليه الفكر العربي، وتخلخل المواقع الرتيبة وهذه هي خصوبة الترجمة كضيافة، فترجمة التفكيك عليها تجاوز الحاجة إلى الرغبة في استضافته. رجاء فتح الهوية المغلقة الثابتة - الجديبة - تحدو الضيافة غبطة اللقاء وشوق الاستضافة، حتى يزاح الجدب الثقافي والاجتماعي والتاريخي والسياسي والديني الذي تغط فيه الثقافة العربية . لكن في ظل شرطنا الاجتماعي الثقافي والسياسي والتاريخي نفتقر إلى تكريس قيمة الأنس والألفة مع الغريب المختلف؛ فالأنس إخلاص مزدوج إخلاص لـ "الذات مع الآخر" على امتدادها واتساعها، ووفاء لأكثر من واحد وفاء لـ "الآخر مع الذّات" على امتداده واتساعه. [2]

أمام محاولات تقديم ترجمة دريدا وقراءته عربيا واستعمال التفكيك في الثقافة العربية : يتقدم السؤال التالي ما مدى قدرة اللغة العربية والثقافة العربية بعامة على استضافة التفكيك ؟هل اللغة العربية والثقافة العربية قابلة لسكنى الغريب المختلف ؟ هل يمكن للثقافة العربية تحمل كل ما تحتمله الضيافة من الدلالات التي سبق كشفها؛ من خلخلة للأدوار وقلب للمواقع ،والانفاق المجاني للتصورات والبداهات الموروثة، وطرق التفكير السائدة والأمكنة الرتيبة إثر إقامة الغريب و التي تتحول إلى إقامة نصيّة تتمتّع بحقوق الضّيافة والإضافة إذ أن «الإضافة هي العنوان الجليل لكل ضيافة. »[3] ضيافة/إضافة لها الرغبة والبذل، من خلال الاستقبال بوجه طلق؛ طلق من الاتهامات والمصادرات الجاهزة، حتى تكون الخصوبة والاتساع الذي يقبل الآخر على اختلافه وهذه هي أخلاق الترجمة «أخلاق الترجمة التي تتجاوز التواصل إلى القبول والاعتراف بالآخر كما هو أي في" أخرويته" أو في تقبله كما هو وبذلك يكون فعل الترجمة نوعا من استقبال الآخر أو الغريب بكل ما يحمله من غرابة »[4]

## 2.صعوبة ترجمة النص الدريدي :

إن ترجمة نص فلسفي هو من الصعوبة بمكان، إذ تقف التّرجمة عاجزة أمام بعض المصطلحات غير القابلة للترجمة، والتي تقاوم الترجمة أو ما يصطلح عليه (اللا ممكن ترجمته)، الأمر الذي يجعل « الترجمة مأساة»[5] على حد قول "بول ريكور"، فكيف والحال هذه مع النص

---

[1] كاظم جهاد : "إلى دريدا فيما أترجمه " ، ضمن كتاب لغات و تفكيكات في الثقافة العربية ، لقاء الرباط مع جاك دريدا ، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي ،ط1، دار توبقال للنشر، 1998،ص 182

[2] ينظر حسام نايل :مدخل إلى التفكيك : ص15

[3] محمد شوقي الزين: " الهجرة ، المسكونيّة ، المنزل المفقود : عناصر في هاجس الغرابة "،مجلة يتفكرون ،العدد 11، مؤمنون بلاحدود للنشر والتوزيع، لبنان 2017،ص 20.

[4] الزاوي بغورة : "مفهوم الهوية في نظرية التعددية الثقافية" ضمن كتاب الترجمة وإشكالات المثاقفة (2)، ص 513

[5] بول ريكور :"حول الترجمة تحدي الترجمة وسعادتها " ، ص124

الديريدي الجامح ؛ ولهذا سيصرح أغلب من اشتغل على تقديم نص دريدا إلى العربية وترجمته بكونه «مغامرة وامتحانا لفرط صعوبته واستغلاقه ولشدة كثافته» [1]

لا شك أن نص "دريدا" صعب خاصة وأنه يحترف صناعة / صياغة نص يربك ماهو متعارف عليه، إضافة إلى أن "مفاهيمه" نبتت في سياق فلسفي غربي، ولها جذور في التراث العبراني والغربي «فترجمة نصوص دريدا ليست عملية سهلة على الإطلاق، ولا ينهض بها إلا المتمكنون في المعرفة بأصول ديريدا الفكرية، وجذورها الضاربة في الفلسفة الألمانية بوجه خاص، فضلاً عن كثافة تناصاته التي تشبه إحالاته وإلماحاته، وأضيف إلى ذلك أسلوبه الذي يتميز بتقنياته الكتابية الخاصة جداً في تفكيك نفسه، فضلاً عما يرتبط بهذه التقنيات من مسكوكات لغوية جديدة وفريدة. » [2]

إن ما يجعل من ترجمة نص دريدا ترجمة صعبة، هو تناصاته مع التراث الغربي من اليونان إلى نيتشه وهيدغر والنصوص الأدبية، إضافة الى التراث العبراني الّذي يشكل رافدا مهما ، زد على ذلك أسلوب اللّعب بين المتن والهامش، الإضافات، التّردّد، اللّاحسم، وفهمه للكتابة بوصفها أثرا ووشما وتوقيعا، وبناء عليه فإن ترجمة نصوص دريدا هي مغامرة، عليها أن تتحمل صرامته ولعبه في آن، ونظرا للتشكل الفسيفسائي الذي يطبع النص الدريدي يقول مترجم "مواقع" أن على الترجمة « أن تتحمل مسؤولية هذا الطابع البلوري ويدعو القراءة –عادية كانت أو نظرية- إلى أن تكون بدورها حذرة وأن تضاعف من يقظتها... »[3]

---

[1] جاك دريدا : (ا)(ت)خ(ا)(ت)ل(ا)ف ترجمة حسين سحبان ، (مقدمة الترجمة ) مجلة يتفكرون"الهجرة وسياسات الضيافة" ع 11، ص 400.

ونلاحظ أن سحبان أعطى تبريرات حول الصياغة الغريبة وهذه الأقواس التي تمزّق المفردة من أجل أن يقترب من اللفظ الدريدي بكل حمولته الدلالية، ونلاحظ هنا الفوضى والاضطراب لترجمة مفهوم أساسي في فكر دريدا "الاختلاف المرجئ " ونشير للقارئ أن البنكي أحصى في كتابه "دريدا عربيا" حوالي 22 مقابلا عربيا لمفردة Différance الدريدية) وأضاف "الحسين سحبان" أن هذه المقال لم يترجم منذ ترجمها هو عام 1992، ولكن المقال هذا ترجم من طرف هدى شكري عياد وحسام نايل في كتابه استراتيجيات التفكيك . السؤال الذي يطرح هنا :لماذا لا يبني العربي على ترجمات غيره؟ ولماذا كل مترجم ينفي وجود مترجمين آخرين ؟ وكأنه لا بد من العودة إلى الصفر كأننا مصابون بلعنته كما يقول الجابري. فالأمر لم يقض بعد ومازالنا مع إشكال ترجمة مصطلح أساسي لدريدا الذي يثيره مجددا الحسين سحبان في 2017 ، فكان إحياء هذا التوتر من جديد لن يدفع عجلة الثقافة العربية فنحن لا نبرح موطئ أقدامنا بعد. هذا كله في ظل غياب جهد وتعاون وتكامل لن نجد مثلا ترجمة متعددة لمقالة واحدة لدريدا وكل مترجم عربي يدعي أنه لم يسبق أن رأى ترجمة أخرى سابقة إنها ثقافة قائمة على النفي المتبادل وهذا النفي سنراه يتوغل عميقا في الثقافة العربية . نضيف أيضا في السياق ذاته أن مقال دريدا الأول "البنية واللعب في خطاب العلوم الإنسانية ". ترجم المقال الى اللغة العربية أربع مرات :

- البنية الدليل اللعبة في حديث العلوم الانسانية ص 137مجلة الثقافة الجديدة العدد 11-10تاريخ1نوفمبر1978المغرب
- البنية اللعب العلامة في خطاب العلوم الانسانية مجلة فصول عدد4تاريخ1اكتوبر1992مصر
- البنية و العلامة و اللعة في خطاب العلوم الانسانية مجلة بيت الحكمة العددرقم 4 تاريخ1يناير 1987المغرب
- ضمن كتاب" في نقد التفكيك " لعبد المنعم العجب الفيا

[2] جابر عصفور: "هوامش للكتابة ، انتشار دريدا"،جريدة الحياة ، رقم العدد: 13511 ، تاريخ النشر8/3/2000 https://goo.gl/mEZFQ5

[3] دريدا : مواقع حوارات. ترجمة فريد الزاهي. ط 1 دار توبقال للنشر، المغرب: 1992. ص8 (مقدمة المترجم)

فيما صنف وأطر "كاظم جهاد" كل ترجمة عديمة الوفاء لدريدا بوصفها :

- كل ترجمة تحيد وتطبع وتشوه الشحنة الشعرية لكتابته .
- كل ترجمة تشوه الشّكل في كتابة دريدا.
- كل ترجمة تتفادى وتساعد في تفادي لغات دريدا (الأخرى) فدريدا يرجع إلى لغات عديدة لاتينية ويونانية قديمة ،وألمانية وإنجليزية ،وإسبانية وإيطالية ،وعربية وعبرانية تتواتر في سائر نصوصه .
- كل ترجمة لا تأخذ بالعمل أو الفعل الخاص لكلماته، فدريدا اجترح كلمات غير موجودة في لغة الفلسفة والأدب ويضيفها إلى اللغة بمثابة هبة، كما أنه إضافة إلى هذا زحزح كلمات موجودة في اللغة عن استعمالاتها السابقة ويكتبها بصورة مختلفة لتعطي دلالات مختلفة .
- كل ترجمة لا تلاحظ ولا تبرز إلى الملاحظة ضحك دريدا ودعابته التي لا تكاد تخفى وراء صرامته وجدّيته. [1]

السؤال الذي يطرح الآن: هل توفرت حركة الترجمة العربية على الوعي بخصوصية التفكيك ودلالاته، أتحمّلت الترجمة العربية هذا الوفاء للنص الدريدي؟ وهنا تطفو إلى السّطح : إشكالية ترجمة المفردات و"المفاهيم" المفتاحية للتفكيك، واختيار المقابل العربي لها بدقة؟ خاصة أنها من الصعوبة بمكان في لغتها وسياقها وخلفيتها المعرفية والمنهجية؛ لأن الترجمة قبل أن تكون عملية نقل مصطلح من لغة أخرى هي نشاط ثقافي بالدرجة الأولى « الترجمة عملية لغوية، ونشاط سوسيو ثقافي على حد سواء يفرض على المترجم امتلاك القدرة اللغوية من ناحية والإحاطة الوافية بالبنى الثقافية للنصوص المزمع ترجمتها.» [2] فكيف سيترجم ويستضاف ويستقبل مصطلح التفكيك، وصاحبه ذاته يشير إلى استحالة الترجمة والقبض على فيض الدّلالة الثاوية فيه؟ خاصة وأن نصوص دريدا تجمع بين دقة مفاهيمه ونفوذها في التّراث الغربي واليهودي ؟

## 3- إشكالية ترجمة التفكيك بين التعثر والاستثمار

### - ماهذا التفكيك؟

فتش دريدا في محاولته للفرار مما يحمله مصطلحا هيدغرَ "Abbou " و" Destruktion" من دلالات سلبية، وبحث في قواميس اللّغة الفرنسية عن مفاهيم أقرب ما تكون لمفهوم هيدغر وفي الوقت ذاته بعيدة عنه، فوجد في قاموس ليتريه "le dictionnaire Littré" مفردة «déconstruction »: والتي تفيد :

---

(1) ينظر كاظم جهاد : إلى دريدا فيما أترجمه ضمن كتاب لغات وتفكيكات، ص ص187- 191 ،

(2) عبد النور خراقي :"الترجمة بين البحث عن الذات والخوف من الآخر" ضمن كتاب الترجمة وإشكالات المثاقفة (2) ص 547.

- فعل التفكيك
- مفردة نحوية
- تشويش واختلال بناء الكلمات في الجملة [1]

يقول دريدا إنه وجد مصطلح التفكيك في اللغة الفرنسية ولكن استعماله كان نادرا ومجهولا [2]، لكن ما أراده دريدا من هذا المصطلح أكبر من المعنى المعجمي، فهو يريد تفكيك البناء الفلسفي أي تفكيك كل المفاهيم التي أسست خطاب الميتافيزيقا الغربية.

في "رسالة إلى صديق ياباني"، يناقش دريدا مشكلة ترجمة مصطلح التفكيك وصعوبتها، وقدرة الترجمة على الإحاطة بكل الاحتياط الثاوي تحت هذا المصطلح، وقابلية ترجمته في لغات وثقافات أخرى.

"التفكيك" مفردة فرنسية قديمة ومهجورة، وهي أيضا على علاقة بمفهوم Destruktion الهيدغري. وإذا كان المعنى القاموسي يعني فك بناء أو آلة أو جملة، لكن هذه المعاني التي يعدّدها ليتريه تهم دريدا كما يقول في رسالته، لكنها لا تفي بكل ما يهدف إليه التفكيك في طموحه الأكثر جذرية، وربما هذه الدلالات اللغويّة المعجمية كما يورد دريدا هي أصل إساءة الفهم حول المفردة ومحاولة اختزال التفكيك فيها [3] وحصره في تحليل بنيات، وإعادة تركيبها وهو ما يجعل دريدا يسارع في النفي و" تعريف " التفكيك بالسّلب ؛ أي تقديم تحديد سلبي للدلالات أو المعاني المرافقة لهذه المفردة، والواجب تفاديها إن أمكن. سيكون السؤال هو التالي «ما الذي لا يكون التفكيك ؟" أو بالأحرى: "ما الذي لا يجب أن يكونه؟" » [4] نظرا لهذه الدلالات والإيحاءات المرافقة سيعرف دريدا التفكيك بالسلب، ولا يعني هذا "التعريف " بالسلب النفي ؛ بل ما "يختلف" عنه التفكيك عن غيره (النقد والقراءة والتحليل والتأويل... إلخ ). فتقديم دلالة واضحة لمفردة التفكيك هو مجرد سذاجة بحسب دريدا، وهو ما يبين استحالة تعريفة وصعوبة تحديده.

يستعرض دريدا مالا يكونه التفكيك، وماالذي لا يجب أن يكون « لايعد "التفكيك" من وجهة النظر هذه فلسفة فقط ولا مجموعة من الأطروحات، ولا سؤالا للكائن الهايدغري، وهو على نحو من الأنحاء ليس شيئا، وكذلك فإنه لا يمكن أن يكون مذهبا أو منهجا، بيد أننا غالبا ما نقدّمه بوصفه منهجا أو نحوّله إلى منهج، مع ما يصحب ذلك من قواعد ومن إجراءات نستطيع أن نعلّمها إلى آخره »[5] **فـالتفكيك ليس تحليلا** لأن غاية التحليل الأخيرة هي العثور على الأصل أو

---

(1) http://www.littre.org/definition/d%C3%A9construction

(2) ينظر جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، تر كاظم جهاد ، دط ، دار توبقال ، المغرب ، دت ،ص 59

(3) ينظر المرجع نفسه ، ص ن . لينبته القارئ أن "رسالة إلى صديق ياباني" واردة ضمن كتاب psych لدريدا، ومترجمة إلى العربية ضمن "الكتابة والاختلاف."

(4) جاك دريدا : الكتابة والاختلاف ، ص 57

(5) جاك دريدا : "ماهو التفكيك" حوار أجرته جريدة le monde, Mardi; 12 october ,2004, تر منذر عياشي." مجلة نوافذ عدد 39، مارس, 2009. ص 68

القاعدة أو العنصر البسيط[1] كما يقول دريدا "غير القابل للحل" وهذا بالضبط ما يشتغل عليه تفكيك دريدا. **والتفكيك ليس نقدا** ذلك أن النقد قائم على الحكم، والتقييم والقرار، وتقييم للزائف من الأصلي والجيّد من الرديء ، وهذه الثنائيات يستهدفها التفكيك أيضا «التفكيك قلب استراتيجي للتراتبية الضمنية في الثنائيات الضدية من جهة وتساؤل جذري للفكر ثنائي الأضداد من جهة أخرى » [2] يعتبر الناقد نفسه قيّما على النص، وهو الذي يبصر نقاط عمى النّص وينسى أنه هو ذاته يقع في العمى، فيقول مالا يعني ويعني ما لا يقول، وهو ما يدعوه "بول دو مان" جدل العمى والبصيرة في الكتابة النقدية، وحتى يكون النقد أكثر جذرية فيما يتعلق بالبنيات غير القابلة للتحديد، كما يبسط دريدا القول على النقد أن يمارس الكتابة: « حتى نستطيع أن نعهد إلى النقد الأدبي بعمليات الاستجواب والقراءة، التي تهمني شخصيا. كذلك فهذه العمليات تفترض أن يمارس "الناقد" (المعقفات من عند. دريدا ) الكتابة أيضا.»[3] فالتفكيك ليس نقدا؛ إذ أن التفكيك لا ينصب نفسه راعيا ولا حارسا للحقيقة القارة في النص أو خارجه، بل يجازف بالسكن داخل البنية، ويضع موضع سؤال "الأصل"، و"الحقيقة"، ويشتغل جينيالوجيا بتعالقات النص مع المدونة التي تكوّن فيها، ليفسح المجال لظهور دلالات غائبة «حركات التفكيك لا تتعامل مع الأبنية من الخارج، إنّها لا تكون ممكنه وفعّالة ولا تحكم ضربتها إلا بسكنى هذه الأبنية.» [4]

**والتفكيك ليس منهجا** : فقد تخوّف دريدا من تدجينه من قبل المؤسسات الأكاديمية [5] ، وحيث يلاحظ "كريستوفر نوريس" أنه يمكن وصف التفكيك ببعض الخطوات فنكون للوهلة الأولى أمام منهج واضح الخطوات والإجراءات ، إلا أنه يلاحظ أن لدريدا سبب وجيه لمقاومة اختزال التفكيك في منهج أو تقنية« يعد التفكير في التفكيك من حيث هو منهج تراجعا إلى مدار المفاهيم والمقولات التقليدية التي أسست (فيما يرى دريدا) خطاب العقل الغربي منذ عصر استهلاله اليوناني القديم » [6] فالتفكيك ليس تطبيقا للقواعد وليس تقنية وليس منهج قراءة وتأويل (كما انتشر في أمريكا مع مدرسة يال الأمريكية) ذلك أن التفكيك كما ينتهي إليه دريدا في رسالته« لا يعود إلى ذات فاعلة محددة تطبقه على شيء أو نص..."إن التفكيك حاصل: إنه حدث لا ينتظر تشاورا أو وعيا أو تنظيما من لدن الذات الفاعلة، ولا حتى من لدن الحداثة. إن "الشيء في تفكك " أو"هذا يتفكك " » [7] فالنص ذاته يتفكك وفي تفكك ، أي أن التفكيك ثاو في بنيته ذاتها، وليس أمرا برانيا نطبقه على النص ؛ يفكك النص نفسه وبنفسه ، ويتكلم ضد نفسه، من خلال هوامشه وسقطاته وتناقضاته .

---

(1) ينظر جاك دريدا:الكتابة والاختلاف ، ص 60

(2) Simon Morgan. The Derrida Dictionary, New York: continuum International publishing Group, 2010. p 33

(3) دريدا : الكتابة والاختلاف ،ص 51

(4) دريدا : في علم الكتابة ، تر منى طلبة و أنور مغيث ، ط2 ، المركز القومي للترجمة ، مصر 2008، ص 91

(5) ينظر دريدا: الكتابة والاختلاف ، ص 61

(6)كريستوفر نوريس و آخرون : البنيوية والتفكيك مداخل نقدية . ترحسام نايل. ط1. الأردن: دار أزمنة، 2007. ، ص 135

(7) جاك دريدا :الكتابة والاختلاف ، ص 61

لننتقل الآن بعد هذا الفرش لمفردة التفكيك في جذر تكوّنها لنرى كيف ترجم التفكيك في الثقافة العربية.

رغم أن الأمر من الصّعوبة بمكان، لكن تجشّم المفكرون العرب عناء هذه التّرجمة كل وتأويلاته وحججه في الأخذ بهذه الترجمة وطرح تلك. بناء عليه اختلفت ترجمة مصطلح "Déconstruction" إلى العربية فقد ترجم تارة بالتفكيك، وأخرى التفكيكية، و التشريحية، وهناك من استعمل مصطلح التقويضية أو التقويض...

## -أ- **التشريحية**

اهتم الناقد السعودي عبد الله الغذامي بترجمة التفكيك وتقديمه للعربية من خلال كتابه "الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية " هذا الكتاب الذي اعتبره البنكي «نقطة انطلاق خاصة في الحالة الثقافية السعودية في المستوى الأول والإقليمية والعربية في مستوى تال.» [1] وهذا هو الأمل في ترجمة أفكار الآخر ونقلها إلى اللغة العربية، هي إحداث هزّات في الثقافة المنقول إليها، ويصبح واقعا ثقافيا جديدا. ولا أظن أن هذا إلا أملا ورجاء يوتوبي من قبل البنكي، فقد اعتبر البنكي مواصلا أمله «هزّ الكتاب المسلّمات بعنف محدثا دويّا ملحوظا في أوساط التلقي كاسرا أفاق توقعها.»[2] توقع وأمل البنكي كان نتيجة الإقبال الكبير على كتاب الغذامي، والرغبة العربية في التعرف على الاتجاهات النقدية المعاصرة *.

ترجم الغذامي( deconstruction) –عن الانجليزيةّ- بـ" التشريحية" يقول: « تحيرت في تعريب هذا المصطلح، ولم أر أحدا من العرب تعرضَّ له من قبل (على حد اطلاعي )* وفكّرت له بكلمات مثل (النقض/والفك)، ولكن وجدتهما يحملان دلالات سلبية تسيئ إلى الفكرة، ثم فكرت باستخدام كلمة (التحليلية) من مصدر (حل) أي نقض، ولكنني خشيت أن تلتبس مع (حلل) أي درس بالتفصيل، واستقر رأيي أخيرا على كلمة (التشريحية أو تشريح النص) والمقصود بهذا الاتجاه هو تفكيك النص من أجل إعادة بنائه، وهذه وسيلة تفتح المجال للإبداع القرائي كي يتفاعل مع النّص.» [3]

---

[1]محمد أحمد البنكي : دريدا عربيا، ص 119

[2]محمد أحمد البنكي: المرجع نفسه ،ص ص 119- 120

* ولا أظن أن الثقافة السعودية قد استقبلت التفكيك كما يحلم البنكي، أو أحدث فيها كتاب الغذامي ثورة معرفية كبيرة، وتحولت إلى فعل ثقافي، إذ لم يكن للمهمش الثانوي موقعا خاصا محتفى به ضمن الثقافة السعودية مثلا إلى يومنا هذا، فمعيار الحكم الذي اتخذه البنكي وهو إقبال القراء على استهلاك النصوص ليس معيارا على "هزّ" البنى الثقافيّة والتاريخية والاجتماعية .

* لكن قبل 1985 وهي سنة نشر الغذامي لكتابه كانت مجلة الثقافة الجديدة بالمغرب سنة1978 قد ترجمت المقال الأساسي لدريدا الذي ألقاه بجامعة هوبكنز-

[3]عبد الله الغذامي: الخطيئة و التكفير، من البنيوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنموذج معاصر، ط4 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 1998 ص 48

وورد في كتاب "الخطيئة والتّكفير" عنوان تشريح النص، وبين قوسين يضع الغذامي (deconstructive criticism ) إنه يأخذ التفكيك على أنه نقد، (فيما ينفي صاحب التفكيك أنه نقد) ويترجمه "النقد التشريحي"[1] ويرى أن دريدا "حاول نقض الفكر الغربي"[2]،الملاحظ أن الغذامي غير متسق في ترجمته فيسميه، مرة تشريحية أو نقد تشريحي ومرة أخرى نقض، وأحيانا تفكيك، للفظ واحد هو deconstruction في الكتاب الواحد، ماجعل بعض النقاد يتهمونه بالتلفيق، لأن هذا الارتباك مؤشر على الفوضى في الترجمة والخلط والتلفيق. [3]

تشريحية الغذامي تحاول استعمال مفاهيم الآخرين دون احترام لما تحمله من دلالات واختلافات معرفية ومنهجية بينها، فمثلا هنا نجده سائرا على منوال بارت يقول الغذامي "مادام النص جسدا، فلابد أن يكون القلم مبضعا يلج إلى هذا الجسد لتشريحه من أجل سبر كوامنه، وكشف ألغازه في سبيل تأسيس الحقيقة الأدبية لهذا البناء، أي أن ذلك تفكيك ونقض من أجل البناء وليس لذات الهدم" [4] نفهم من هذا القول أن تشريحية الغذامي تعادل التشريح العلمي للجسد فهي تشريحية لا تنظر للنص بوصفه بنية رمزية وثقافية وتاريخية واجتماعية، أو بوصفه استعارة كبرى لا تخفي حقيقة كما يفهمه بارت، إنها "تشريحية" تؤمن بوجود حقيقة خلف النص، والعجيب أنها " حقيقة أدبية ".

التشريح الذي يتبناه الغذامي تشريح يعيد بناء النّص بعد أن أدرك "الحقيقة"، وهو أبعد ما يكون عن تفكيك دريدا «التفكيكية كما يريدها الغذامي لا تبحث في شروخ النص وتناقضاته، ولا تريد إبطال تمركزه المنطقي أو محاولة انغلاقه على معنى مستقر، وإنما تفككه إلى "جمل" تنتقي منها ماهو شاعري فقط وتهمل الباقي، ثم تجمعها مع الجمل الشاعرية التي وجدتها في نصوص أخرى لنفس الكاتب حتى ولو كانت مقالة أو نثرا لتبني نصا كليا جديدا هو "العمل الكامل".»[5] ولهذا يتبرأ الغذامي من دلالة الهدم الثاوية في مفهوم "التفكيك"، وسنجده في نفس الصفحة يضيف «هذه تشريحية تختلف عن تشريحية دريدا تلك التي تقوم على محاولة نقض منطق العمل المدروس من خلال نصوصه، وأنا لا أعمد إليها هنا لأنها لا تنفعني في هذه الدراسة» [6] لأن دراسته كانت تحليليّة في المقام الأول ولم تكن تفكيكا .

ينفي الغذامي عن التشريحية رجوعها لغاية الهدم، واعتبر التفكيك الدريدي لا ينفعه تخوفا من الهدم الثاوي في التفكيك الدريدي « يرفض الكثير من النقاد- وخصوصا العرب منهم – فكرة

---

[1]الغذامي : المرجع نفسه ، ص49
[2] الغذامي: المرجع نفسه ، ص 50
[3]عبد الكريم شرفي : "المسافة بين دريدا والغذامي " مجلة الخطاب ، العدد رقم 07 تاريخ 1 يونيو 2010 المغرب، ص 138
[4] الغذامي: المرجع السابق ، ص 79
[5] عبد الكريم شرفي : "المسافة بين دريدا و الغذامي" ص128
[6]الغذامي: المرجع السابق، ص 79

التقويض والهدم في التوجه التفكيكي، وكأنهم رأوا في ذلك منقصة أرادوا تنزيه التفكيكية عنها فزادوا إلى التفكيكية ماليس منها، وهو إعادة البناء بعد التقويض أو الهدم في حين أن روح التفكيكية يتمثل بالضبط في قوة النقض والهدم والتقويض التي تتميز بها» [1] وكأننا بالغذامي يزين نصه بمفاهيم غربية مبتورة عن سياقها وأرض نشأتها، فنصوص الغذامي "مستعدة للاستحواذ وحشو ذهن المتلقي عبر حشد من المصطلحات "[2] الرنانة التي لها وزنها وأثرها المتفرد في الثّقافة الغربيّة، ويوظفها ويزين بها نصوصه ما يجعل من نصوصه تبدو للوهلة الأولى متفردة لكنها زائفة في الوقت عينه. فهو قد يوظف التّفكيك والتشريحية والنقص والاختلاف والتعدد، - كما يقول البنكي نفسه في مقال آخر- هي فقط ضرورية لإشباع حاجته في اكتساح السوق النقدية والسيطرة والتحكم وإثارة الصراعات مع الخصوم، ما يجعل منه "ماركة مسجلة". [3] وهنا يبدو ما قاله مترجما "علم الكتابة" وجيها « سنجد في هذا الحضور الضخم جزءا منتجا وفاعلا وهناك جزء آخر فيه نوع من الخلط فكثير من الألفاظ المستخدمة فيه غير دقيقة المعنى بل إننا كثيرا ما نجد ناقدا يكتب أية ملاحظات على عنوان الكتاب ويسمي ما يكتب تفكيكا.»[4]

هل التفكيك كما جاء في تعريف الغذامي يبني ما فكك؟ هنا المأزق لأننا هنا نقبض على فهم كينونة التفكيك «إن إعادة البناء يتنافي مع مفهوم دريدا للتقويض.» [5]. إن فهم الغذّامي للتفكيك باعتباره يرجع لغاية أساسية وهي "إعادة البناء" ينم عن عدم فهم "التفكيك"، مع أن البنكي يستميت في الدّفاع عن الكتاب باعتباره نموذجا يقول: إننا سنصادف في محاولة عبد الله الغذامي "لعرض" أفكار دريدا في "الخطيئة والتّكفير" نموذجا لما يصاحب هذا النشاط التحويلي من تحوير وتطوير وتغيير وتكييف" حتى أنه أشبه ببارت في لغته النقديّة التي تجمع بين التقعيدي والتخيلي( ) لكن بارت الذي يجمع بين الشعري والمنطقي نصوصه عبارة عن ثنيات وطبقات، ولم يؤمن بارت بوجود حقيقة خلف النص/نسيج العنكبوت، فالنص نسيج لا عمق له. وليست القضية كما يدافع البنكي هي تحوير وتحويل وتطوير، فالتفكيك لا يبني ماتهدّم، ومع أن الغذّامي يشير إلى أن التفكيك هو كشف التناقض داخل النص «صار الكاتب ينقض نفسه بنفسه من خلال كتابته.» [6] فأين إذن تكون حركة إعادة البناء فالتفكيك يشير إلى تناقضات النص الأمر الذي يجعله يتفكك من تلقاء ذاته.

---

(1) عبد الكريم الشرفي :"المسافة بين دريدا و الغذامي" ، ص ص 118-119

(2) ينظر محمد أحمد البنكي و آخرون : عبد الله الغذامي والممارسة النقدية و الثقافية ،ط3 المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان 2003 ،ص 211

(3) ينظر محمد أحمد البنكي و آخرون : عبد الله الغذامي والممارسة النقدية و الثقافية ،ص 210

(4) منى طلبة و أنور مغيث مع محمد شعير :حوار حول "الجراماتولوجي"مجلة أوراق فلسفية، ع13 ، ص144

(5)ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ط 2، المركز الثقافي العربي، المغرب/لبنان، 2000، ص53

(6)الغذامي: الخطيئة و التكفير، ص 50

وسينتهي البنكي أخيرا إلى أن هذا المصطلح "التشريحية" لم يلق رواجا واعتبار الغذامي نسخة عربية من دريدا مجانبة للصواب [1] دون أن يحدّثنا البنكي عن الهزة التي تفاعل بها وطرب لها، والتي أحدثها نص "الخطيئة والتكفير" في الساحة الثقافية السعودية والعربية عموما .

ولعل التفسير لتناقضات البنكي* إزاء تشريحية الغذامي راجع لموقع الغذامي وسلطته الرمزية في الحقل الثقافي العربي وهو ما يكشفه الدكتور "معن الطائي" في مقال "من يخشى الغذامي" عن الحصانة التي يتمتّع بها الغذّامي في السّاحة الثّقافية والإعلامية ما جعل منه رمزا لا يجرأ أحد على انتقاده، وترجع مكانته بالأساس في أنه قام بنقل النظريات الغربية إلى السّاحة العربيّة بطريقة كما يقول معن الطائي "استعراضية شيقة " حاول من خلالها إرضاء متطلبات الإعلام الجماهيري ،والرضوخ لقوانين اللعبة التسويقية . [2] وهنا تطفو للسطح واحدة من مآزق الثقافة العربية ألا وهي تغليب العلاقات الشخصية على النقد. وهي مؤشر على حالة غير صحية وغير علمية تسود الوسط النقدي والثقافي العربي .[3]

**ب ـ التقويض**

فيما ذهب "سعد البازعي" و"ميجان الرويلي" إلى ترجمته بالتقويض والتي اعتبراها أنسب من التفكيك؛ فهو حسبهما أقرب من "التفكيك" إلى مفهوم دريدا، فهذا المفهوم كما يحاج البازعي: «يتناسب مع الاستعارة التي يستخدمها دريدا في وصفه للفكر الماورائي الغربي إذ يصفه باستمرار بأنه "صرح" أو معمار يجب تقويضه.» [4] لكن مصطلح تقويض لا يستطيع أن يتلخص من الدلالات السلبية للهدم وهو ماهرب منه دريدا نفسه .

**ج- التفكيكية**

في حين ترجمها البعض بـ "التفكيكية" كما يذهب عمر أزراج[5] لكن هذه الترجمة أيضا تخل بالتفكيك في كونه ليس مذهبا فالاسم المنسوب ( الاسم الذي تضاف إليه ياء مشدّدة ) أو ياء

---

[1] ينظر محمد أحمد البنكي : دريدا عربيا، ص ص 124 ، 126

* منذ الأسطر الأولى لمقال ضمن كتاب جماعي حول الغذامي شرع البنكي في التنبيه: أن مقاله لا يحمل أي إساءة للغذامي "بأي شكل من الأشكال" لكن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ منذ مطلع مقال البنكي هل مهمة الناقد هي الاعتذار والتبرير والإخطار ؟ لكن مع أن البنكي يبرّر وينبّه من البداية على عدم إساءته للغذامي إلا أنه من الدّاخل نجده يسلك مع الغذامي أسلوب بلاغيا هو الذّم بما يشبه المدح إذا جاز القول .

[2] معن الطائي : من يخشى الغذامي ؟ صحيفة المثقف العدد 1403 الإثنين 2010/5/17
http://www.almothaqaf.com/qadaya2009/14260.html

[3] ينظر المرجع نفسه

[4] سعد البازعي و ميجان الرويلي : دليل الناقد الأدبي ، ص 53

[5] ينظر أزراج عمر: ثلاثة نصوص حول مصطلح "التفكيكية" مجلة التبيين العدد 6 ، تاريخ 1 أبريل 1993 الجزائر، ص 24

النّسبة في اللّغة العربيّة تدل على المذهب* و«التفكيك لا يعد في الواقع مذهبا ،ولا يشكل نسقا متكاملا، أو رؤية عامة تقوم على ثوابت محددة .» (1)

**د- الانزلاقية**

لو ذهبنا مع البنكي في قضية الترجمة كتحويل وتبديل بدل كونها ترجمة حرفية، فلنلاحظ ترجمة المسيري déconstruction **بالانزلاقية**، نلاحظ هنا أن المسيري تجنب ترجمة حرفية للمصطلح ،وأخذ بدلالاته وتخومه ونشاطه ؛ وهذه الترجمة غير الحرفية للتفكيك بالانزلاقية مرده انزلاقية اللغة ولعب الدوال وانفصالها عن المدلولات، ما يجعل من المتعذر إيقاف هذا اللعب، حيث تسود حالة من الانزلاقية واللعب ويتهدم أي تراتب هرمي أو أي تنسيق للواقع. (2)

يفهم المسيري التفكيك بكونه "نقدا" يكشف تناقضات النص لا إعادة بنائه « إن النقد التفكيكي لا يفكك النص ويعيد تركيبه ليبين المعنى الكامن في النص (كما هو الحال مع النقد التقليدي)، وإنما يحاول أن يكشف التوترات والتناقضات داخل النص وتعددية المعنى والانفتاح الكامل بحيث يفقد النص حدوده الثابتة ويصبح جزءا من الصيرورة ولعب الدوال.» (3) فالمسيرى يعتبر التفكيك نقدا - وهذا ليس التفكيك- لكن لا يتوقف فهم المسيري للتفكيك عند هذا الحد، بل يتوجه صوب السياق الثقافي والنسق الفلسفي والجذور اللاهوتية التي تقف خلف التفكيك فهو يعتقد بالتحيّزات الفكريّة خلف المصطلحات والمفاهيم «يتبدى من خلال المفردات نموذج حضاري متكامل تعجز الترجمة الحرفية عن نقله، بل إنها تطمس معالمه أحيانا، وتفصل المصطلح عن النموذج الحضاري الكامن وراءه.» (4) حيث اعتبر المسيري دريدا من فلاسفة اللاعقلانية. وما التفكيك إلا منهج من مناهج مابعد الحداثة « وكلمة "تفكيك" في تصورنا مرادفة لمصطلح "مابعد الحداثة" أو على الأقل تنويع عليها (على الرغم من أن دريدا أنكر ذلك في حواره مع المثقفين المصريين في القاهرة) ففكر مابعد الحداثة فكر تقويضي معاد للعقلانيّة والمركزيّة والثّبات ويحاول أن يظل غارقا في الصيرورة» (5) ثم يذهب "المسيري" إلى القول «إن الرؤية الفلسفية هي "مابعد الحداثة" أما

*__المنسوب__ : هو الاسم الذي يلحق آخره ياء مشدّدة مكسورة ما قبلها للدّلالة على نسبة شيء إليه، والنسبة تكون من جهة الأب أو البلد أو الصناعة أو المذهب ونظائرها نحو رجل هاشميّ أو جرجانيّ أو كسائيّ أو شيعيّ أو صفراويّ وغيرها - علي أكبر شهابي : أصول الصّرف، ط1 مطبعة الجامعة طهران ، 1335 هجري ، ص 47.

(1) محمد علي الكردي : جاك دريدا وفلسفة التفكيك، ضمن مجلة أوراق فلسفية، ع 13 ، ص15

(2) ينظر عبد الوهاب المسيري، و فتحي التريكي. الحداثة و مابعد الحداثة. ط1. سوريا: دار الفكر، 2003. ، ص114

(3) المرجع نفسه، ص 115

(4) المرجع نفسه ، ص 111

(5) عبد الوهاب المسيري : "دريدا في القاهرة : التفكيكية والجنون " ، مجلة أوراق فلسفية العدد13 الخاص بدريدا، 2005 ، مصر ، ص 349

"التفكيكيّة" فهي منهج في تفكيك النّصوص وإظهار التّناقض الأساسي الكامن فيها » [1] وبهذا يكون التفكيك الأنموذج التطبيقي لمبادئ مابعد الحداثة.

إذا كان المسيري يقترب قليلا من فهم التفكيك إلى أنه يقع في مطب ومزالق حيث إنه اعتبر التفكيك مرادفا لما بعد الحداثة (والتفكيك يختلف عن مابعد الحداثة) ثم يذهب إلى اعتبار التفكيك منهجا مابعد حداثيا يعمل على إظهار التناقض الأساسي الكامن في النصوص [2] والتفكيك ليس منهجا بل يذهب به الشطط إلى الربط بين الإبادة والتفكيك ونهاية التاريخ ومختلف الجوانب السلبية للحداثة الغربية أي نزع الصفة الإنسانية عن الإنسان ويعطف التفكيكية على الإبادة . [3] فالمسيري يشوّه التفكيك ويمنحه دلالات سلبية رغم أنه لا يني يبدي إعجابه به وهو ما سنتطرق له لاحقا.

الأمر الذي يجب بيانه في هذه النقطة هو اختلاف التفكيك عن مابعد الحداثة ومابعد البنيوية :

نظرا للاستعمال الحر لمصطلح التفكيك في سياق الحديث عن : مابعد البنيوية -*post structuralism* ومابعد الحداثة *postmodernism* ، اعتبر التفكيك مرة حركة مابعد بنيوية، وطورا النموذج الأمثل لتيار ما بعد الحداثة، حيث إنه يلتقي معهما في النقاش حول الحقيقة، والمعرفة، واللغة والتمثيل، بخلخلة الميتافيزيقا الغربية وكل تصوراتها، ولكنه يختلف عنها في أمور كثيرة [4] فكثيرا ما يتم ضم التفكيك إلى تيار مابعد الحداثة، واعتبار دريدا من ضمن فلاسفة مابعد الحداثة في أحسن الأحوال و في أسوئها مرادف وتنويع لها كما يذهب المسيري.

فيصنفه بعضهم ما بعد بنيوي نظر لاشتغاله على البنية واللغة أو قد يصنف ضمن قائمة "فلاسفة الاختلاف" حيث يجتمع هؤلاء تحت سقف الاختلاف؛ خاصة وأن دريدا أراد فتح جبهة عريضة لمقاومة الشموليّة وفسح المجال لوجود الآخر المختلف، والاحتفاء بالضيافة والصداقة «فلاسفة الاختلاف لا ينضوون تحت لواء مدرسة توحدّهم، فإن هناك خيطا سريا يسرى ويجمع بينهم فجميعهم في خدمة الاختلاف والمغايرة ومن البديهي أن بين أعمالهم تمايزا لكنهم يلتقون من خلالها حول هم واحد يشغلهم هو تفتيت الفلسفة الغربية وتفكيكها إلى أبسط عناصرها ومن ثم إمكانية الخروج عنها» [5] مع أن هذا الجزء الأخير من قول عبد الحليم عطية يتعارض تماما وتفكيك دريدا؛ لأنه ينفي أن يكون التفكيك تحليلا- كما رأينا سابقا- إلى العناصر البسيطة.

---

[1] المرجع نفسه ، ص ن

[2] ينظر المسيري وفتحي التريكي : الحداثة ومابعد الحداثة ، ص ص 112-113

[3] ينظر عبد الوهاب المسيري : الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط4، دار الفكر، دمشق سورية / دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، 2010 ، ص 209 .

[4] See Routledge Encyclopedia of Philosophy ,Version 1.0 ,London and New York :Routledge ,1998, p2018

[5] عبد الحليم عطية : مابعد الحداثة والتفكيك، مقالات فلسفية. د ط. مصر: دار الثقافة العربية، 2008 ص23

داخل تحولات العقل الغربي جاءت مابعد الحداثة منعطفا على مشروع الحداثة ، الذي استنفد إمكانياته، حيث اشتغلت مابعد الحداثة، على خلخلة السائد، وفضح آليات الهيمنة، ومقاومة الشمولية وتفكيك مركزية العقل الغربي، وبث الريبة في يقينيات الحداثة وكشف تناقضاتها وما آلت إليه وما أفرزته تلك النظم الشمولية من إرهاب وتعصب وإقصاء. إثر ذلك انفتحت مابعد الحداثة على المهمش والقبيح و المختلف .

بناء عليه نلاحظ تعالقا وترابطا بين التفكيك ومابعد الحداثة في مستوى الاشتغال على اللغة وفي تفكيك همينة النموذج الواحد للتفسير وتفكيك التمركز حول العقل/اللغة/ اللوغوس والثورة ضد هيمنة نموذج تفسيري واحد ، ويشترك التفكيك معها في محاربة الخطابات الشمولية وفضح تناقضاتها من الداخل والتركيز على الاختلاف كأقوى الوسائل لتهديم النزعة الشمولية الكلية، لهذا فإن المدخل الصحيح للتفكيك هو مدخل اللغة والعلامة [1] -كما يذهب مترجم "الصوت والظاهرة"- والذي باشر من خلاله تفكيك الفكر الفلسفي.

لكن اختلف التفكيك عن هاتين "الحركتين" وأخذ منهما مسافة ؛ فما بعد البنيوية بقيت وفية للسانيات سوسير أو تأسست عليها أما التفكيك فقد سعى إلى ماهو أكثر تعقيدا؛ فحص النصوص الفلسفية بالنظر إلى نقاط العمى blindspots والتناقضات contradictions في حين أن مابعد الحداثة تعلن نهاية التنوير Enlightenment أو مشروع التحديث والسعي العقلاني بخصوص مشروع التحديث Modernist project التفكيك حافظ أو احتفظ بشيء للاستعمال؛ بالروح النقدية للتنوير في اللحظة التي لا يكف عن مساءلته ظل يستفهم عن ما هو أكثر دغمائية Dogmaticويستفز المعتقدات المطمئنة إلى نفسها ليصل بها إلى نقطة الإحراج أو المأزق Aporiaحيث تتكلم النصوص ضد نفسها ويعتني بكل ما تم تجاهله وإهماله ورفضه [2] إن دريدا يستهدف بالأساس تفكيك تاريخ الميتافيزيقا الغربية وفضح تمركزاتها حول الذات/العقل/الصوت/ العرق...

**ه- التفكيك**

لنقف إذن عند التخريج اللطيف ل"محمد شوقي الزين" ، هذا التخريج الذي يقترب من روح التفكيك ولعبه اللغوي واستثماره في طاقات اللغة؛ فمحمد شوقي الزين والذي يعد حسب البنكي «إحدى الممارسات العربية الطموحة، التي تجهد في استثمار دريدا، مستقبلة أفقا مفتوحا من الوعود والمخاطر والاحتمالات.»[3] وهو يترجم الكلمة إلى العربية ذهب إلى "لسان العرب" ومعاجم اللغة العربية الأخرى، ووقف على الفعل "فكّ" الذي يحمل معنى التخليص والفصل، ولم

---

[1] جاك دريدا: الصوت و الظاهرة ، ص12

[2] See : Routledge Encyclopedia of Philosophy . p 2017

[3] محمد أحمد البنكي : دريدا عربيا،ص 240

يقف عند هذا الحد بل بحث في معنى الوزن تفعيل وتفعّل /تفكيك وتفكك «يمكننا تسمية التفكيك ما يمكن تفعيله، أي تنشيطه أو بعث الحركة فيه، وبناء على دلالة لسان العرب ما يمكن تفصيله أو تخليصه، ونسمي التفكّك ما يتفعّل بضغط داخلي أو حركة ضمنية، دون فاعل خارجي.» [1] ما انتهى به إلى أن **التّفكيك** ينطوي على أمر أساسي هو البحث عن الأمر الذي بطبعه يتسلّط على الأمور الأخرى لقهرها أو حبسها، ويبقى هذا الأمر مجهول الهوية، يتبدّى ربّما في الأنساق الفكرية والفعلية للثقافات الإنسانية من سياسة ودين وإيديولوجيا ومعرفة، بينما **التفكك** هو اشتغال داخلي. وبهذا يكون التفكيك حسب شوقي الزين: عملتين متكاملتين الأولى داخلية (التفكك) والثانية خارجية (التفكيك)[2] فالمقابل العربي "التفكيك" هو الأنسب لقربه من روح "التفكيك" الدريدي . وهو تقريبا ماراج كمقابل عربي لـمفردة دريدا " Déconstruction"

## 4- حضور/غياب التفكيك في الثقافة العربية

نظرا لما حققه التفكيك في الثقافة الغربية من نتائج من كشف وفضح لتناقضات العقل، سعى المفكرين العرب إلى استعمال التّفكيك وترجمته وتطبيقه على النّصوص العربيّة والثّقافة العربيّة والتراث العربيّ الإسلامي واخضاعه للتفكيك طمعا في الوصول إلى نفس النتائج. وانتهى القراء العرب «إلى أن يجدوا في فكر دريدا ما يساعدهم إلى أبعد الحدود في تحقيق ما يدعوه المفكرون الأفارقة السود ب "تصفية العقل" . » [3]

عند هذه النقطة تبرز مشكلتين أثارت جدلا بين المفكرين :

**المشكل الأول** : اختلف النقاد والمفكرون العرب حول رواج التفكيك من عدمه في الثقافة العربية، فبين مدافع عن رواج التفكيك وبين مفند لرواجه وشيوعه واستعماله في الثقافة العربية .فهل عرفت الثقافة العربية فعلا التفكيك ترجمة وتطبيقا وضمنت تداوله بشكل كبير؟

من جهة أخرى يبرز **المشكل الثاني**: التراث العربي والإسلامي له خصوصيات قد لا تتلاءم وكينونة التفكيك، مما جعل بعض المفكرين يتخوفون من تطبيقه على الثقافة العربية الإسلاميّة وتراثها، وثار جدل بين المفكرين، فبعضهم مبين و مؤيد لوجود "التفكيك" في الثقافة العربية، وبعضهم يرفضه وينهى عن استعماله وتطبيقه، وبينهما من يرحّب به بتحفظ، وبين هؤلاء وأولئك نشأت معارك أيديولوجية كان النفي صلبها ، فيما ابتعد التفكيك ورجع غريباً كما دخل غريباً.

---

(1) محمد شوقي الزين: الذات و الآخر، تأملات معاصرة في العقل و السياسة و الواقع ، ط1 ،منشورات ضفاف /لبنان ، ومنشورات الاختلاف / الجزائر و دار الامان /المغرب ، 2012، ص102

(2) ينظر المرجع نفسه ، ص ص 103، 104

(3) كاظم جهاد: إلى دريدا فيما أترجمه ، ضمن كتاب "لغات وتفكيكات"، ص184

السؤال الذي يطرح هنا: هل يمكن للتراث العربي الإسلامي أن يخضع للتفكيك وهل هو قابل للتفكك ؟ أم أن طبيعته ترفض ذلك؟

رفض النّاقد المصري "جابر عصفور" أي تأثير للتفكيك على الثقافة العربية، وحجته في ذلك أن كتب دريدا الأساسية غير متاحة في اللغة العربية ، ومعظم الترجمات الشحيحة عن دريدا لا تكفي لتقديم دريدا للقارئ العربي، إضافة إلى أن هذه الترجمات لا تتوفر على الدقة، مقارنة بالترجمات الإنجليزية، ولا توجد عندنا كما يواصل عصفور حركة نشطة لترجمة أعمال دريدا، توازي ما يحدث على امتداد العالم كله، أو تكافؤه، إضافة إلى أن الثقافة العربية يغلب عليها التيارات المحافظة التي تسكن إلى الأفكار الكسولة بدل المغامرة الجذرية مع تيارات النقد المعاصرة، ليخلص إلى مايلي: « أتصور أن هذه الملاحظة تقودنا إلى فهم السبب في هشاشة وضآلة ما كتب عن فلسفة ديريدا باللغة العربية إلى اليوم، وعدم تأسيس مواقف نقدية معمقة من مجالات تفكيكه، وشيوع صور سوء الفهم أو الجهالة الفاضحة، إلا في ما ندر.»[1]

لقد بنى الناقد جابر عصفور رأيه النّافي لوجود تأثير للتفكيك في الثقافة العربية إثر الحروب الكلامية والصراعات مع "عبد العزيز حمودة" هذا من جهة . حيث تهجم الأخير على ما يراه الأخير انبطاحا عربيا في استقبال المناهج الغربية، و "عصفور" واحد من المعنيين بهذا النقد الذي وجهه حمودة للحداثة ومابعدها، حسب ما يكشف البنكي، كما أنّ نفيه لوجود تأثير للتفكيك مقارنة بالبنيوية راجع لموقعه وسلطته من جهة اخرى، خاصة وأن "عصفور" حاضر بقوة في الساحة البنيوية عبر كتابة المقالات أسبوعيا وشهريا، إضافة إلى الندوات والملتقيات والمجاملات التي لا حصر، حتى نفهم موقفه من التفكيك يقول البنكي «والمتوقع من ناقد تألقت تجربته على خلفية الإسهام في المد البنيوي تنظيرا وترجمة ونشرا وتطبيقا أن ينتقص مما قبل البنيوية، ويتغافل عما بعدها حتى تبقى الهيمنة لاتجاهه. » [2] فنظرا لموقعه واحتفاظه بالرأس مال الرمزي الذي له في هذا الحقل الثقافي بوصفه واحدا من البنيويين ينفي أن يكون العرب قد اطلعوا وترجموا جديدا مختلفا عن البنيوية ، مع العلم أن الكتب التأسيسية "علم الكتابة" و "الصوت والظاهرة" و"الكتابة والاختلاف" على الأقل ترجم اثنان منهم إلى العربية.

في الطرف الآخر نجد رأيا مغايرا تماما لرأي عصفور، رأي يؤمن بوجود تأثير قوي للتفكيك في الثقافة العربية، ذلك أن التفكيك فتح مجالات جديدة لنقد الهيمنة والاستعمار، وباتت عمليات

---

[1]- جابر عصفور: " هوامش للكتابة - انتشار ديريدا"، جريدة الحياة، العدد 13511 :تاريخ النشر8/3/2000
https://goo.gl/mEZFQ5

[2]محمد أحمد البنكي : "هل يوجد تفكيك في هذه الغرفة "، ضمن كتاب :جاك دري ما الآن ؟ ماذا عن غد ؟ الحدث، التفكيك، الخطاب ، إشراف و تحرير محمد شوقي الزين ط1 ، منشورات الاختلاف / الجزائر و دار الفارابي /لبنان ، 2011، ص 72

النقد محمله بطموحات وآمال سياسية[1]

أحصى الناقدان "محمد البنكي" و"عبد الحليم عطيّة" أغلب الدراسات والترجمات والتطبيقات العربية التي اعتنت بالتفكيك* ورصدا تاريخ استقبال التفكيك عربيا وبدايات الاهتمام به. فقد عرفت الثقافة العربية دريدا توظيفا وترجمة وتعاطيا مع النصوص، والتي اعتبرها كل من الناقدين مؤشرات على مبلغ الرواج الذي كتب لدريدا في المشهد الثقافي العربي[2]. حيث كان الاهتمام بالتفكيك محتشما في السبعينات وفيها تمت ترجمة المقال التأسيسي لدريدا:" البنية الدليل اللعبة في حديث العلوم الإنسانية" التي قام بها محمد البكري في مجلة الثقافة الجديدة. فيما عرف التفكيك حركة انتقال دينامية للعربية في الثمانينيات وتعددت مظاهر الاستثمار ونجد هذه الاستراتيجية في أعمال الخطيبي والغذامي وأدونيس إضافة إلى الدور الريادي الذي قامت به مجلة فصول المصريّة. [3] سجل البنكي حركة حيوية منذ التسعينات لحضور التفكيك في الفكر العربي الذي اعتبره مزيجا من الفضول والرغبة العلمية وسوء القراءة [4]

فحص البنكي أغلب النصوص التي اهتمت بالتفكيك فيما وقع تحت يديه من نصوص وإشارات إلى التفكيك، وما اشتغلت به تطبيقا على نصوص عربية، ورصد آليات اشتغالها على تفكيك دريدا .

وقد أحصي البنكي أكثر من تفكيك عرفته الساحة الثقافية العربيّة ( تفكيكات ) فتفكيك المسيري ليس تفكيك على حرب وتفكيك عبد السلام بن عبد العالي ليس تفكيك بختي بن عودة ...

بدوره يتبنى عبد الحليم عطية الناقد المصري هذا الرأي إذ يقول : « يمكننا القول أن صاحب هوامش الفلسفة قد أصبح جزءا من متن النص الفلسفي العربي المعاصر أو كاد، وانتقلت فلسفته من الغياب إلى الحضور، وتحولت أفكاره من المسكوت إلى المعلن عنه، ومن اللامفكر فيه إلى المنقول منه، فهل نحن نسير في اتجاه دريدي، أو أن هناك ما يسمى باللحظة الدريدية في الفكر العربي المعاصر؟»[5] ففي تصور "عبد الحليم عطيّة" أن الثقافة العربية عرفت دريدا ترجمة ودراسة وشرحا وتطبيقا من قبل الكثير من الباحثين العرب. ويؤيد هذا الموقف مترجم "الصوت

---

[1] منى طلب وأنور مغيث مع محمد شعير: "حوار حول "الجراماتولوجي"" ،مجلة أوراق فلسفية ،العدد13، ص145

* بناء عليه نتجاوز ونشير إليه فقط، لأننا نبني فوق بحوث الآخرين ولا نرى داعيا لتكرارها هنا.

ونلاحظ من جهتنا أن دريدا وُجِد أكثر في المجلات العربية منذ السبعينيات، وكان أكثر من ترجمة كتبه ،وقد جمعت أغلب المقالات المتعلقة بالتفكيك والاختلاف و الكتابة في المجلات العربية على هذا الرابط :

https://debbabimadiha.blogspot.com/2017/01/blog-post_28.html

[2] محمد أحمد البنكي : دريدا عربيا،ص218

[3] ينظر المرجع نفسه ،ص ص 112- 113

[4] ينظر المرجع نفسه ،ص 218 .

[5]ينظر مقدمة العدد 13 من مجلة اوراق فلسفية العدد الخاص بدريدا بعنوان " استراتيجيات القراءة ونقد التمركز الغربي" ، ص3

والظاهرة" التونسي "فتحي انقزو" حيث نفى أن يكون الفكر الدريدي غريبا عن القارئ العربي نظرا للنصوص الدريدية المترجمة إلى العربيّة، وبعض التطبيقات اتخذت لها عنوانا "التفكيك"[1] .

عزز عبد الحليم عطيّة رأيه بإحصاءات كبيرة لترجمة وقراءة التّفكيك في الثقافة العربية، واهتم ببيان التفاعل بين الفكر العربي المعاصر وكتابات دريدا : مثل لقاء الرباط – لقاء القاهرة – كتاب تأويلات وتفكيكات – لشوقي الزين، وترجمة مقالات دريدا المتنوعة ضمن الكتابة والاختلاف لجهاد كاظم- الخطيبي والنقد المزدوج- عبد السلام بن عبد العالي :التراث والهوية - ونور الدين أفاية في الهوية والاختلاف - علي أومليل في شرعية الاختلاف– فتحي التريكي: قراءات في فلسفة التنوع، محمد أركون وتوظيفه مفاهيم دريدا في تفكيك العقل والميتافيزيقا الإسلامية، مطاع الصفدي في نقد وتفكيك العقل والميتافيزيقا الغربية وعلي حرب في نقد النصوص العربية... [2]

هذا الإحصاء والإسناد القوي من جهة عبد الحليم حسب البنكي ليس إلا ردا على "سالم يفوت" الناقد المغربي الذي ادعى أنه «مهتم بالثورة المنهجية والتحوّل المعرفي المعاصر.... وأن هذه المنهجية وهذا التحول المعرفي لا يجدان قبولا لدى غيره ... ويسعى كي يجد صدى لمثل اهتماماته لدى أحد أعلام الفكر الفلسفي المعاصر فلا يظفر بها.» [3] هذا النفي من جهة سالم يفوت عن غيره اهتماما بالمنهجية والتحول المعرفي ماعداه هو، جعل عبد الحليم عطية - في الهامش- يشن حربا شعواء على حد تعبير البنكي- ضد سالم يفوت ، يذكره فيها بفضل أساتذة المشرق على الطلاب المغاربة. في السبعينات [4]

فالمواقف والرؤى اتخذت انطلاقا من مواقع السجال والتنافس من أجل الظفر بأكبر رصيد رمزي في الحقل الثقافي العربي بين أقطاب متصارعة، يحاول كل منها الإجهاز على الآخر، وإثبات عكس ما يزعمه الطرف الآخر، فوجهات النظر المختلفة حول تأثير التفكيك في الثقافة العربية يخضع كما يقول البنكي لمواقع القائلين فمواقفهم تكونت انطلاقا من فضاءات التموقع . [5] لهذا نرى سياسة النفي المتبادل التي تحول إلى صرعات وانتماءات جهوية هي الطاغية على الهم المعرفي للمثقف العربي .

---

[1] ينظر جاك دريدا: الصوت والظاهرة، تر: فتحي انقزو ،ص 5

[2] ينظر مقدمة مجلة أوراق فلسفية، العدد13 الخاص بدريدا، ص ص 3، 4

[3]- عبد الحليم عطية :" دريدا و الفكر العربي المعاصر " ضمن كتاب جاك دريدا والتفكيك ، إشراف و تحرير عبد الحليم عطيّة ،ط1، دار الفارابي /بيروت- لبنان ، 2010، ص 26

[4] ينظر المرجع نفسه ، ص ن

[5] - ينظر محمد أحمد البنكي : "هل يوجد تفكيك في هذه الغرفة "، ضمن كتاب :جاك دريدا ما الآن ؟ ماذا عن غد ؟ ص74

## 5- التخوّف من التفكيك في الثقافة العربية :

أشار عبد العزيز حمودة إلى استحالة نقل المناهج الغربية إلى ثقافة أخرى وتربة أخرى، وأن أي عملية نقل لتلك المناهج محكوم بفهم الخلفيّات المعرفيّة والمزاج الثقافي التي ولدت فيه هذه المناهج الحديثة وإلا فالأمر لن يعدو أن يكون ترقيعا «ربما يكون التفكيك أكثر تجليات الحداثة وما بعدها تأكيدا لمقولتنا المبدئية في هذه الدراسة بصعوبة الفصل أو استحالته بين المذهب أو المشروع النقدي الحداثي والمزاج الثقافي الذي أفرزه وإن ذلك المشروع حينما ينتزع من خلفيته الثقافية ويغرس في تربة ثقافية مختلفة غريبة عليه يثير الكثير من البلبلة والفوضى. » [1] وانطلاقا من هذه "المسلمة" سيهاجم حمودة أعمال النقاد العرب الذين عنوا بتطبيق المناهج الغربية في الثقافة العربية؛ كجابر عصفور مثلا مشيرا إلى مواطن الابتسار، وعدم الوعي بخصوصية الثقافة التي نشأ فيها المفهوم الغربي من جهة، وأصالة الثقافة العربية المنقول إليها و المطبّق عليها من جهة أخرى .

لكن البنكي يعتبر أن ما يذهب إليه حمودة عبارة عن مصادرة ومسلمات انطلق منها، إضافة إلى استناده إلى النقاد الأمريكيين الثائرين ضد التفكيك وكل من رفض التفكيك في بحثه« إن حمودة يبني دراساته على مقولة مبدئية ومسلمة لا تناقش، وهي صعوبة انتقال المناهج من بيئة حضارية إلى أخرى.»[2] فما يعيبه البنكي على حمودة أنه يفعل عين ما يعيبه على الآخرين فهو يستعين بمرجعيات غربية في نقده ، وهم من عنوا من الغربيين بنقد التفكيك مثل جون إليس، وهابرماس .

يؤمن " عبد العزيز حمودة" و"عبد الوهاب المسيري" بالتّحيزات الفكرية للمشاريع النقدية الغربية، وبوجود بعلاقة عضوية بين المشروع النقدي والمزاج الثقافي المصاحب له والخلفية المعرفية والفلسفية التي ينشأ منها، ما يجعل من مسألة نقلها أمرا عويصا، وقضية شائكة؛ فالمصطلحات مرتبطة بسياق حضاري لا يمكن تجاوزه وإغفال النظر عنه، فكل دال كما يورد المسيري متجذر في تشكيل حضاري فريد له لغته المعجمية والحضارية الفريدة ولذا فالدال (وحقله الدلالي) مرتبط بسياق حضاري محدد، ويشير إلى ظواهر بعينها دون غيرها، إضافة إلى أن الدال -يكمل المسيري - لا يشير إلى مدلول خارجي وحسب، وإنما يحتوي وجهة نظر من سكه وزاوية رؤيته واجتهاداته (منظوره)، وينتهي إلى القول أن تحيز الدال هنا مزدوج : تحيز سياقه ،وتحيز من صاغه ، وحيث إننا نترجم عادة من الانجليزية أو الفرنسية ..... فإن المصطلحات المترجمة عادة ما تحمل منظور صاحبها وهو المنظور الغربي [3]

---

[1] عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، دط، (سلسلة عالم المعرفة) المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت ،دت ، ص164

[2] محمد أحمد البنكي : دريدا عربيا،ص 269

[3] المسيري : اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، ط1 ، دار الشروق ،مصر، 2002 ، ص ص 196، 197

أنكر المسيري (المشغول باليهوديّة والمعادي للصهيونية) على التفكيك عدميّته « ثمة أجندة خفية وراء الدعوة للحرية غير المشروطة للتفكيك، الذي يتشح بوشاح العلم والأخلاق ،ويحاول أن يسقط الهوية ويمحو الذاكرة التاريخية ،وأنا أذهب إلى أن التفكيكية وما بعد الحداثة هما في واقع الأمر إيديولوجية النظام العالمي (الاستعماري) الجديد، الذي يحاول أن ينسينا هويتنا وخصوصيتنا وتراثنا وذاكرتنا التاريخية ،حتى يمكنه من أن يفتح حدودنا لرأسماله وأدواته ومخابراته وإعلامه.»[1] فالمسيري متخوف من الإيديولوجيا الثاويّة في الدعوة إلى التفكيك –اللامشروطة – في المساس بمقومات الهوية العربية والإسلامية وخصوصيّاتها الثقافيّة والدينيّة والتاريخيّة و الاجتماعية . فالتفكيك ليس إلا صورة عن استعمار ثقافي ضمن التحليل الأخير في النقد الذي وجهه المسيري للحضارة الغربية .

لا يؤمن دريدا بالأصل الثابت، هذا الأصل متصدع تنخره التناقضات الجوانية، أسلوبه المريب في تقطيع جسد الكلمات والنصوص ما يدفع إلى تشتت الدلالة، إنه لأمر يثير الرّيبة والتخوف؛ تخوف من تفكيك الهوية وأصولها الدينية واللغوية والتاريخية، وطبيعة التفكيك أنه استفزاز -بتعبير جان غراندان - لكل ما يؤمن به الإنسان، فضح لكل البداهات والأنساق المتعالية، والهويات المغلقة، وإشارة للفئات المهمشة، وخلخلة للبنيات التحتية، وفتح العقل على أسئلة جذرية مصادرة تاريخيا، لهذا نجد التخوف العربي من استقبال التفكيك واستعماله وتطبيقه على النصوص العربية « نقد المسيري نقدا لاهوادة فيه العديد من مقولات جاك دريدا، وغالطه في كثير من المسائل التي كان دريدا يدافع عنها، منبها إلى خطورة بعض تلك الأفكار، خاصة التي تحوم حول العقيدة والإيمان، كما سلط الضوء على أبرز مقولات التفكيكية مثل : اللامركزية، واللامحدودية مسألة الإزاحة والنصية، موضحا فحواها،وموظفا لذلك لغة تؤكد مدى اطلاع المسيري على تفكيكية دريدا، ومعرفته لمساراتها التي لا تخلو من الالتواء والمنعرجات. » [2] فلا يمكن والحال هذه فصل المناهج الغربية عن سياقها الحضاري، وضرورة احترام مسافة الاختلاف الضرورية لكل عملية نقل وغرس للتفكيك في الثقافة العربية الإسلامية، وهي مسافة أكّد عليها التفكيك نفسه .

لاشك أن زحزحة التصورات الثابتة في العقل "العربي" والتشكيك في ما يؤمن به، والبحث في الاختلاف داخل الواحد الثابت والحقيقة القارة، إضافة إلى الازدواج والوقوف على الحافة، سيجعل الناقد العربي يتخوف من نقل التفكيك، وهو ما يبرر حسب المترجم المصري "حسام نايل" تباطؤ انتقال التفكيك للثقافة العربية حيث يرى في هامش ترجمته لمقال "ميشال ريان" عن التفكيك مايلي:

---

[1] المسيري: "دريدا في القاهرة: التفكيكية و الجنون" مجلة أوراق فلسفية، ع 13 ، ص 362

[2] محمد بكاي: أرخبيلات ما بعد الحداثة ، رهانات الذات الإنسانيّة : من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق،ط1 ، دار الرافدين لبنان ، 2017 ، ص 82

«هذا الازدواج في الاعتماد - وهو صلب استراتيجية التفكيك يرينا شيئا من الأسباب التي على أساسها يتباطؤ انتقال التفكيك إلى ثقافتنا، ويفسر التوجّس المكتوم حتى من بعض الذين يتابعونه، الازدواج مرفوض في ثقافتنا التي هي في جذورها ثقافة نوع معين من الإسلام ، فالازدواج علامة - دائما- على إمكان الغدر والخيانة وعدم الوفاء، ولو شئنا الاسترسال: هو دائما علامة على النقص، نقص الايمان ،النقص الشديد في الإيمان : النّفاق أو الشرك، الإيمان في الإسلام واحدي و"أحدي"، أمّا في المسيحيّة - حيث الشيوع المشروط للتفكيك في أمريكا وأوربا – فالإيمان واحدي و'ليس أحدي"، والواحد يجيز منطقيا وبالضرورة التثنية والتثليث، الواحد يجيز إمكان العد ، أما الإسلام فيغلق منطق العدد بكلمة "الأحد" التي لا تقبل على الإطلاق إمكان العد. » [1]

الثقافة الإسلامية المتمركزة حول الواحد الأحد، قد لا تقبل عقديا التفكيك للوهلة الأولى، على غير اللاهوت المسيحي الذي يقبل العد ويجيز أكثر من واحد، ولا يعرف مفهوم "الأحد" فالاختلاف بين العقيدة الإسلامية والعقيدة المسيحية واليهودية يفرض علينا الحذر في تعامل التفكيك مع النصوص المؤسسة في الثقافة العربية الإسلامية .

من جهة أخرى ورغم انتقاداته اللاذعة وتعصبه لخصوصية الثقافة العربية، إلا أن المسيري لا يخفي إعجابه بالتفكيك وإيمانه بجدواه وحتميته وضرورته في كشف المسكوت عنه « ومما لا شك فيه أن التفكيك له فائدة، بل هو أمر حتمي وضروري، فهو يكشف المفاهيم الكامنة، ويزيل الغشاوات، ولكنه يترك كثيرا من جوانب الظاهرة دون تفسير، فالتفكيك عملية هدم جذرية تطهيرية. » [2] ولأجل ذلك فإن المسيري لن يتوقف عند التفكيك كفضح وكشف لوهم اكتفاء البينة الداخلية، ووهم القبض على المعنى داخلها، وهدم كل أساس عقلي يدعي القبض على الحقيقة، بل يختلق المسيري مرحلة تالية للتفكيك هي مرحلة البناء بعد التفكيك والتي تأخذ معنى التأسيس وهو «عملية إبداعية تركيبية تتجاوز التفكيك فهي تتطلب نحت نماذج مختلفة والربط بينها، كما تتطلب الغوص في كل الأبعاد السياسيّة، والاقتصاديّة، والدينية ، والمعرفيّة للظاهرة ، وإعادة ترتيب الوقائع ،وتصنيفها في ضوء النماذج التحليليّة الجديدة، وقد اكتشفت أني لم أعد أفكك وحسب، وإنما بدأت أطرح مصطلحات، ومقولات تحليلية بديلة، وأصوغ نماذج تفسيرية جديدة، اكتشف من خلالها حقائق مهمشة (متناثرة في بطون المراجع المختلفة ،وقامت النماذج السائدة بتهميشها) وبدأت أمنحها المركزية التفسيرية التي تستحقها،كما بدأت أسك مصطلحات جديدة، وأعيد تعريف

---

[1] جوناثان كلر وآخرون : مدخل إلى التفكيك . ترجمة حسام نايل. ط1. مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2008، ص97

[2] عبد الوهاب المسيري : رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر ،سيرة ذاتية غير موضوعية ،ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة 2000، ص 414

بعض المصطلحات الجديدة ،وأعيد تعريف بعض المصطلحات القائمة، كما يتفق مع حقيقة الواقع كما أراه لا كما صاغته المراجع والمصطلحات الصهيونية. » [1]

فالمسيري لايتوقف عند بيان التناقضات ومأزق النص الذي يلفه من الداخل حيث يفكك النص نفسه بنفسه، بل هو يأمل في بناء وتأسيس معنى جديد ونظرية جديدة على أنقاض التفكيك، وهو ما يخالف روح التفكيك عند دريدا "فالمفككون العرب" يتخوفون من الهدم الثاوي في التفكيك أحيانا يصل حد التعصب «وقد يستنكر بعض القراء العنصر الهدمي في التفكيك، ولكنه أحيانا قد يكون ضروريا؛ فعندما يكون الموروث سيفا مسلطا يهدد انطلاق الفكر وحريته، حينذاك لابد من زعزعة البناء المعرفي لكيما تفتح آفاق جديدة . » [2] نظرا للأزمات التي يعاني منها العقل وانغلاق الهوية، وبروز الصراعات الدينية بين الطوائف و المذاهب في العالم العربي، تبدو الحاجة ماسة إلى مراجعة التراث، وتفكيك الأسس الثيولوجية والتاريخية والوجودية للفكر العربي الإسلامي، وتفكيك النّصوص المؤسّسة له، وفضح الإيديولوجيا التي يرقد عليها.

لكن النقاد العرب يستعملون التفكيك بما يتناسب ومزاجهم ومواقعهم الرمزية في الحقل الثقافي ، ولهذا فإن أغلبهم المناهضين له والمتخوفين منه وحتى أشدّ المرحبين به كعلي حرب مثلا أو محمد شوقي الزين سيضيفون له ما ليس منه أقصد البناء « التفكيك الذي يمارسه دريدا لا يعني "مطلقا " الهدم (فكرة الهدم كان قد استعملها هيدغر في تفكيك النسق الفلسفي الإغريقي ) وإننما يتضمن أيضا فعل البناء (البناء بنمط مختلف) فهو بالأحرى تفكيكdémantage وحدة ثابتة إلى عناصرها ووحداتها المؤسسة لها لمعرفة بينتها ولمراقبة وظيفتها. فالتفكيك يقتضي التعدد والتشتت . » [3] وتم وضع العدمية الثاوية في التفكيك بين مطتين على سبيل الجملة الاعتراضية - التي لا محل لها من الإعراب في اللغة العربية فهي مقروءة ولكن لا عمل لها - واستعمل التفكيك غالبا على أنه عملية نقدية لها آليات وإجراءات، وليس لكونه ثاوٍ في النص ذاته ، كما يفهمه دريدا.

## خاتمة :

لقد وقفنا عند ترجمة التفكيك على خلط وفوضى اصطلاحية في ترجمة التفكيك، والتي لا تعدو أن تكون الوجه الظاهر لصراع ثقافي إيديولوجي عميق متوغّل في الثقافة العربية يقوم على النفي المتبادل. ماساهم في تأخر الترجمة في ديار العرب وعرقلة الاستفادة من التراث الانساني

---

[1] المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر ،سيرة ذاتية غير موضوعية ،ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة 2000ص 414

[2] فريال جبوري غزول : "إدوارد سعيد العالم والنص والناقد "، مجلة فصول ، ع 01، تاريخ 1 ديسمبر 1983 مصر ص 187

[3] محمد شوقي الزين : تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر. ط1. لبنان/ المغرب: المركز الثقافي العربي، 2002. ، ص 189 .

وتحويل "التفكيك" من المستوى المعرفي إلى فعل ثقافي واجتماعي وسياسي وهو ما تراهن عليه –نظريا- كل ترجمة .

كما أن غياب جهد ترجمي متكامل ومتناسق أوقع الثقافة العربية في حبائل التكرار غير المثمر: الترجمة وإعادة ترجمة النص الواحد أكثر من مرة، وهو ما أدى إلى اقتراح العديد من المقابلات العربية لمفردة واحدة بل الأدهى أن كل ترجمة تنفي اطلاعها على ترجمة من سبقها .

إن قراءة دريدا في الفكر النقدي العربي تتم من زاوية " لعبة" تحكم الحقل النقدي العربي والمواقع التي تقع فيها الأطراف الممثلة لعناصره من النقاد والمفكرين، وإن هذه اللعبة تنطوي على منطقها الخاص وقواعدها الحاكمة للمنافسات والصراعات التي تتجه إلى إعادة إنتاج وتوزيع رأس المال الثقافي بين مختلف الأطراف داخل بنية الحقل [1] كما يقول البنكي، عند هذه النقطة يستوقفنا مأزق من مآزق ثقافتنا العربية في ترجمة وقراءة التفكيك، وتوظيفه حيث تنشق الآراء وتبرز الصراعات الثنائية بين من يرى للتفكيك تأثيرا في الثقافة العربية ومن ينفي ذلك هذا من جهة، وبين من يدافع على استثمار التفكيك في مراجعة التراث العربي والإسلامي والمتشككين فيه، والخائفين على الهوية والتراث، حتى ينتهي كل طرف إلى نفي وإقصاء الطرف الآخر، وفي كل ذلك نجد أن صوت الأيديولوجيا والمصالح، وصراع الجهويات والانتماءات ( مشارقة ومغاربة)، والتسابق المحموم من أجل إحراز رأسمال رمزي وكسب مواقع ثقافية ، هو التي تقف خلف صياغة المواقف والآراء، وهو الأمر الذي يحاربه التفكيك ذاته، الذي يحاولون ترجمته واستضافته .

[1] محمد أحمد البنكي : دريدا عربيا،ص 54